

من صميم القلب :

لك الله أيها العربي ! ...

للاستاذ صبحي إبراهيم الصالح

—•••••—

لك الله أيها العربي ! كم تارت في وجهك الشدائد فعمدت لها في بطولة ، واعتزمت طريقك العقبات فذلتها برجولة ! وكفى الدهر بنيانك من القواعد فاستأنفت البناء ، ودأمت حياتك النائبات فصبرت على القضاء !

لك الله ما أفقر دنياك وأغنى قناعتك ، وما أنسى عيشك وأسى غايتك ، وما أبخل زمانك وأسخر راحتك !

أنت للفقر ندافه ، ولللبؤس تصارعه !

أنت للضعف تقالبه ، وللذل تحاربه !

أنت للعدو تجاهده ، وللدهر تمانده !

أنت لو زرائك تدينهم على النكاس ، ولزعمائك تحاسبهم على التخاذل ، ولعلائك تشكو ما هم فيه من تجاهل !

أنت لأغنيائك تألم من بخلهم ، ولعقرايك تبكي على ذلمهم ، ولنفسك تنوجع على ما أصابها من حرمان ، وما تجرعت من كؤوس الهوان !

بل أنت للمصائب كلها ، وللخطوب جميعها ... فما أعظم ما تلقاه ، وما أقل حظك في الحياة !

كأنى بفتن الدنيا تبحت عن محتمل لها فلا تظاهر إلا عليك ، وبمحن الزمان تشد صابراً عليها فلا تداعى إلا إليك ، فإذا عسف القوى يلقى الأشواك في دربك ، وإذا ضحك الموروث يدفن الاستغاثة في قلبك !

فلك الله من شاك كظم لا يجد سميماً !

ولك الله من مجاهد عظيم لا يلقى تشجيعاً !

أين رجالك الذين وعدوك الكرامة فأذلوك ، وزعماءك

الذين لبسوا مسوح الرهبان فأضلوك ، وأغنياؤك الذين شربوا دمك ثم استاكوك ، وعلماؤك الذين اتخذوا آلهتهم هوام ثم أهملوك !

أين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ليقاتلن صفك كالبيان الرصوص أو يحرروا فلسطين ، ولينهض نهضة واحدة للفلسطين الفادرين ، وليعاقبن بالطرده أذال الشعوب ، جرائم الفساد ، لصوص المالين ؟

أين الذين أشعلوا بنارهم حاستنا ثم أطفأوها بمائهم ، وفتحوا بهتافهم عيوننا ثم أظلموها برقادهم ، وما زالوا يمالجوننا بالمطافة ونحن إلى القتل أحوج ، وبأخذوننا بالارتجال ونحن نروم النظام ، ويرقدوننا بالمسكنات ونحن نلتمس الشفاء !

إن هؤلاء سواء عليهم أدلتهم أم لم تدلمهم لا يكثرثون ، وسواء عليهم أذكركهم بتقصيرهم أم لم تذكرهم لا يابهون ، وسواء عليهم أصرحت لهم أم عرضت بهم لا يبألون .

ولو أنك أكثر الصراخ المختنق ، ومزقت الصدر الحرج ، وقطعت الخنجر المكروبة ، وأطلقت الحشرة السكبوتة ، فلن نسمع منهم إلا السنة بليلة ، وأصواتاً ندية ، ربما أرضت البيان الرفيع ، ولكنها لا ترضى الحق العريق !

ولكن ... هون على نفسك ، فلا تريض باليأس قلبك ، ولا تمصر بالقنوط فؤادك ، بل اصرخ أيها العربي في النفوس الراقدة عليها نفيق ، وفي الأرواح الهامدة عليها تنحرك ، وفي الضمائر الميتة عليها تحيا ، وفي الشاعر الساكتة عليها تنطق ، فقد اقتربت النار وتقضى الأمر ، وقد داهمك اللصوص بالخيانة والفنر ، وقد سرقوا متاعك بالخدياع والمكر . على أنك إذا وثبت وثبك ، وأطمت قلبك ، أطفأت النار قبل أن تلهم النار ، ولحقت باللصوص الجبناء قبل أن يولوا الأديار ، واسترجعت متاعك قبل أن يتواروا عن الأبصار !

وإني لأحذرك أيها العربي قوماً كالثعالب ، أنت نعرفهم بلحنهم الكاذب ، فقد لدغت من جحرم مرات « والأومن لا يلدغ من جحر مرنين » ولقيت من مكرهم وبلات ، والمكر